العرب
الخميس 2020/01/09
السنة 42 العدد 11581

مكتبات الرصيف في دمشق.. مساحات أقل وآفاق أوسع

تشيخوف ودوستويفسكي على رأس اهتمامات القراء السوريين اليوم

كما في كل عواصم العالم، تشغل ظاهرة مكتبات الرصيف جزءا من حالة المعرفة والقراءة لدى الناس في دمشق، وهي الظاهرة التي وجدت منذ عشرات السنين ولم تزل موجودة تصارع من أجل البقاء رغم الحصار المعرفي والمالي الشديد الذي تعاني منه نتيجة مآلات الحرب التي تدور في البلاد.

نضال قوشحة
كاتب سوري

مكتبات الرصيف نوافذ لطلاب المعرفة

مكتبات الرصيف كانت صاحبة حضور هام في المشهد الثقافي السوري، وشكلت للكثيرين رافدا هاما في تغذية المكتبات الشخصية لكثير من الطلاب والمثقفين. كانت تنشط في أيام العطل وتفترش الأرصفة في الأسواق العامة، واهتم بها الطلاب الجامعيون خاصة لكي يتحصلوا على نسخ كتبهم بأسعار أرخص من المراكز الجامعية.

ويتردد على مكتبات الرصيف كذلك عدد من المثقفين لكي يحصلوا على كتب رخيصة أو نادرة. ويروي كثيرون أنهم وجدوا فيها كتبا نادرة وذات قيمة تاريخية كبيرة مثل نسخة بولاق في مصر لألف ليلة وليلة ورسالة الغفران للمعري وبعض روايات نجيب محفوظ القديمة وروائع الأدب الروسي الكلاسيكي. فمن يعرف هذه المكتبات يذكر أنها تحتوي على كتب في التراث الأدبي والديني إلى جانب العديد من المجلات الثقافية والفنية والرياضية ووجدت فيها كتب في الطبخ والأبراج والتنجيم وغيرها من المواضيع الحياتية.

ما بعد الحرب

ما بعد عام 2011 وبدء أحداث الحرب في سوريا تأثرت حركة النشر والقراءة في البلاد بشكل كبير، وشهدت العاصمة دمشق تراجعا في وجود المكتبات فغابت مكتبات عريقة وتحولت إلى مطاعم أو محلات لبيع الجوالات أو القرطاسية، وتقلص عدد مكتبات الرصيف التي كانت منتشرة في منطقة الحلبوني ومنطقة التكية السليمانية حتى حصرت في منطقة واحدة وهي تحت جسر الرئيس في قلب العاصمة حيث مركز انطلاق وسائل النقل.

في جولة حديثة لـ"العرب" في هذه المنطقة، التي صارت محاصرة بعدد من الأكشاك التي تبيع الألبسة الرخيصة وبعض الحوائج الخفيفة، تجولنا في المكان عن كثب ورصدنا بعض التفاصيل عن يوميات هذه المهنة بعد مرحلة الحرب وبقائهم بهذه المساحة.

> مكتبات الرصيف تحتوي كتبا في التراث الأدبي والديني إلى جانب العديد من المجلات الثقافية والفنية والرياضية

يقول أبوأسامة صاحب إحدى هذه البسطات "أمور المهنة في هذه الأيام ليست بخير، يمر علينا عدد قليل من الناس، ومعظمهم لا يشترون بل يكتفون بالسؤال، كانت أسعار كتب الرصيف أرخص بكثير من الكتب في المكتبات وكانت تجتذب القاصي والداني، وكان يأتينا بعض المثقفين الذين يلاحقون الكتب النادرة ويشترونها بأي ثمن".

ويضيف "سابقا كانت بسطات الكتب تنتشر في أرجاء المدينة كلها، لكنها الآن موجودة بهذه المساحة فقط، نعاني من ضعف حالة التفاعل مع الناس بسبب غلاء الأسعار، الكتاب صار في قاع سلم الأولويات وحل محله انشغال الناس بتأمين المواد الغذائية".

إلى جانب هذه المكتبة، تتموضع مكتبة مختصة بالكتب الأجنبية، التي تقدم للزائر كتبا أجنبية مرجعية في تخصصات علمية مختلفة، يقول صاحبها أبوعبدالرحمن "عملت في مكتبة لبيع المراجع الأجنبية لعشرات السنين، وعندما أغلقت المكتبة وجدت نفسي مجبرا على العمل لحسابي، فصرت أشتري الكتب الأجنبية العلمية التي أعرف عوالمها وأقدمها للزوار في هذه المساحة، كانت الأمور صعبة في البداية منذ سنوات قليلة لكنها الآن أصعب، أسعار الكتب في غلاء مستمر والأجور في حالة تقلص".

عن الكتب التي تروج حاليا يقول "أهم ما يطلب الآن هو الكتب الأدبية وتحديدا الروايات، وكذلك كتب الإدارة والتنمية البشرية، وتطلب أيضا كتب الأدب الواقعي الروسي لتشيخوف ودوستويفسكي وغيرهما كما تطلب كتب ماركس حديثا، وكذلك الكتب المخصصة للأطفال. منذ فترة لاحظت أن البعض يطلب المجلات العالمية الشهيرة مثل تان تان وأستريكس ولاكي لوك".

تاريخ المكتبات

تاريخيا، كانت المكتبة الظاهرية التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس عام 1277 أول مكتبة عمومية للناس بدمشق. وأنشئت بالقرب من الجامع الأموي في قلب المدينة القديمة وكانت منذ عام 1880 مركزا هاما للتنوير الفكري عندما أقنع والي دمشق مدحت باشا السلطان بأن يسمح للمكتبة بقبول الهدايا من الكتب من الأفراد والكنائس والجوامع. وكلف على إثرها الشيخ طاهر الجزائري بإقناع هذه الجهات بتقديم الكتب. وقام بذلك على امتداد سنوات وحقق نجاحا كبيرا فتم إهداء مكتبات كاملة للمكتبة الظاهرية منها مكتبة عبدالله باشا العظم، ومكتبة الخياطين، والمكتبة المرادية، والمكتبة العمرية، والمكتبة الياغوشية، ومكتبة المدرسة الأحمدية، ومكتبة جامعة يلبغا، وغيرها.

وبعد ما يقارب الستين عاما صدر قرار حكومي عام 1930 بإلزام كل صاحب كتاب بإيداع نسختين منه في المكتبة وبقيت المكتبة الظاهرية أهم مركز مستقطب للقراء على مستوى سوريا حتى أسست مكتبة الأسد الوطنية في عام 1983، وصارت جزءا منها.

أما أول دار نشر فقد وجدت في سوريا في أواسط القرن التاسع عشر، وفي عام 1932 تأسست مكتبة النوري في ساحة المرجة في قلب مدينة دمشق، وكانت أول مكتبة في سوريا، ووصل عدد دور النشر في عام 2011 إلى حوالي 400 دار كانت تنشط في معظم المدن السورية وخاصة العاصمة دمشق.

الكتب الصوتية مستقبل الأدب

نورة البنخليل

المنامة – مع ازدياد وسرعة وتيرة الحياة والمشاغل والتطور التكنولوجي المستمر، وفي ظل زيادة كمية المعلومات الهائلة التي يتم إنتاجها وتبادلها في كل لحظة، برزت الكتب الصوتية كإضافة نوعية في مجال الاطلاع لتستطيع أن تستقطب اهتمامًا كبيرًا من محبي القراءة وتشكل منافسًا للكتاب الورقي التقليدي الذي واجه تحديًا في مرحلة سابقة مع الكتب الإلكترونية.

وفي مهرجان الأيام الثقافي للكتاب الذي اختتم مؤخرا بالمنامة، تم تدشين عدد من الكتب الصوتية في جناح تطبيق "الراوي" الذي انطلق من البحرين كمشروع ريادي نال تقديرًا إقليميًا ودوليًا.

وقد التقينا عددًا من الكتاب والرواة ممن جمعهم "الراوي"، ليتحدثوا عن مدى انتشار وأهمية الكتاب الصوتي في الآونة الأخيرة.

ويصف يوسف البنخليل رئيس تحرير صحيفة "الوطن" وصاحب دار "تدوين" تحويل الكتب المطبوعة إلى كتب صوتية بأنه تجربة مختلفة لأي كاتب، لأنها تنقل النص من القراءة إلى الاستماع، مؤكداً أن حرصه على تحويل رواية "بحر أخضر ولؤلؤ أحمر" إلى كتاب صوتي يتيح وصوله إلى شريحة أكبر من الجمهور للاستمتاع بتفاصيلها السردية، حيث أن الكتاب الصوتي يتميز بانتشاره الواسع ويضيف للنص روحاً مختلفة خاصة إن كان الكتاب يتضمن قصة أو رواية.

ويشير البنخليل إلى أن إنتاج الكتاب الصوتي يعطي روحًا مختلفة تجعل المستمع يشعر بأن الأحداث حقيقية تمر أمام عينيه، وذلك بفضل المؤثرات الصوتية والموسيقية المستخدمة، موضحًا أن الكتب الصوتية باتت ظاهرة اليوم في عصر القراءة الرقمية.

ومن جانبه قال الدكتور عقيل الموسوي، وهو مؤلف روايات، إن تناول الكتاب الصوتي سيكون أسهل من تناول الكتاب الرقمي والكتاب الورقي، خاصة أنه يساير وتيرة حياة الجيل الجديد، منوهًا إلى أن الأذن لا تضرها الحركة، فيمكن الاستمتاع بالصوت في أي مكان وفي أي زمان، في السيارة أو أثناء مزاولة الرياضة أو حتى قبل النوم.

> الكتاب الصوتي يعطي روحًا مختلفة للنص المكتوب تجعل المستمع يشعر بأن الأحداث حقيقية تمر أمام عينيه

ووصف دهشته عندما سمع كيف تحدث بطل روايته "أريامهر نامه: سيرة نور الآريين" لأول مرة بحيوية ويصف مشاعره بنبرة مليئة بالأحاسيس، مما زاده فخرًا بالنص الذي كتبه، مشيدًا بأفراد المجموعة الذين يتميزون بإجادتهم اللغة العربية الفصحى وطريقة إلقائهم التي أحيت أبطال الرواية عبر تنوع نبرات الصوت من مشهد لآخر.

وفي السياق نفسه يؤكد عبدالوهاب الرفاعي، وهو مؤلف كويتي وصاحب دار نشر نوفا، أن فكرة الكتب الصوتية نادرة في الوطن العربي وفي منطقة الخليج العربي خاصة، لذلك رغب في أن يخوض تجربة الكتب الصوتية ليقيس مدى نجاحها، مشيرًا إلى أنه خاض مسبقًا تجربة الكتب الرقمية، حيث أنه حول عددا من كتبه ورواياته إلى كتب رقمية ولكنها لم تجد الإقبال المتوقع. ويضيف أن من أهم الصعوبات والتحديات التي تواجه الكتب الصوتية كلفتُها في الإنتاج، لذلك الشركات التي تنتج مثل هذا النوع لا تتعاقد إلا مع الكُتاب والمؤلفين الذين لهم مكانتهم في السوق.

ويقول محمد الشعبان، أحد الرواة في تطبيق الراوي، إنه رغم انخراطه في مجال الإعلام والتعليق الصوتي الإخباري، إلا أن تجربته مع تطبيق الراوي كانت الأولى من نوعها، وقد كانت التجربة مثمرة وأضافت له الكثير.

ويؤكد حرص جميع الرواة على إعطاء الرواية حقها من خلال إبراز صوت الراوي والشخصيات بالطريقة المثلى، حتى يتسنى للمستمع أن يعيش الأجواء المكانية التي أراد الكاتب إبرازها.

ويقول الراوي حسن الساعاتي إن من الأسباب التي دفعته للاتجاه إلى تقديم الكتب الصوتية أنه مجال واعد في العالم العربي، وهو شبيه بوظيفته الإعلامية كونه مذيعًا في إذاعة البحرين، وهي فرصة لإثراء مخزونه المعرفي بالقراءة، مشيرًا إلى أن تجربته في هذا المجال ساهمت في صقل موهبته في الأداء وإشباع شغفه المستمر بالأداء الصوتي.

ويذكر أن بعض الكتب الصوتية تحتاج إلى راوٍ واحد يقوم بأداء جميع الأصوات بالأسلوب الحكواتي الذي اعتدناه من جداتنا وأمهاتنا عند سرد القصص والحزاوي، وهناك نوع آخر يحتمل وجود أكثر من راوٍ لأداء الشخصيات المذكورة في الرواية أو الكتاب.

ومن جانبها قالت هالة سليمان، شريك مؤسس تطبيق الراوي، إن شركة الراوي ميديا تأسست في ديسمبر 2016، ومنذ تدشين تطبيق الراوي في نوفمبر 2017 حتى اليوم، استطاعت الشركة أن تحول أكثر من 551 كتابا ورقيا إلى كتب صوتية وكان التركيز على تحويل الكتب الورقية من المؤلفات المحلية والخليجية والعربية، بالإضافة إلى الكتب الأجنبية المترجمة إلى العربية، مشيرة إلى أن عملية تحويل كتاب ورقي إلى كتاب صوتي عملية دقيقة لما يتعلق بها من الكثير من الإجراءات الإدارية والقانونية والفنية، كما أنها تحتاج إلى تمويل دائم ومستمر.

كتب تتماشى مع العصر

إماراتية وسعودي في المرحلة الثانية من شاعر المليون

أبوظبي – تأهل الشاعران الإماراتية حمدة المر بحصولها على 47 درجة من 50 والشاعر السعودي خالد القصيري الجهني بحصوله على نفس الدرجات، إلى المرحلة الثانية من مسابقة "شاعر المليون" في نسختها التاسعة، وذلك في الأمسية الثالثة من البرنامج الذي تنتجه لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، في إطار استراتيجيتها الثقافية الهادفة إلى صون التراث، وتعزيز الاهتمام بالأدب والشعر العربي.

كما تم في بداية الحلقة الإعلان عن تأهل الشاعر العماني ناصر الغيلاني إلى المرحلة الثانية من مسابقة شاعر المليون بنسختها التاسعة، وذلك بحصوله على 68 بالمئة من تصويت الجمهور. حيث انتظر الشاعر نتائج التصويت أسبوعا كاملا رفقة زملائه من الحلقة السابقة وهم الشاعران السعوديان عبدالرحمن شعشان القحطاني وحمد المخلفي الحربي والشاعر السوداني صالح بن بركي الرشيدي.

وبثت الحلقة الثالثة من البرنامج مساء الثلاثاء من مسرح شاطئ الراحة في أبوظبي وعبر قناتي الإمارات وبينونة. حيث التقى أعضاء لجنة التحكيم المؤلفة من الدكتور غسان الحسن وحمد السعيد والأستاذ سلطان العميمي، خلال الحلقة الثالثة من البرنامج، بستة شعراء.

وفي تعليقها على ترشحها للمرحلة الموالية عبرت الشاعرة حمدة المر عن سعادتها الكبيرة بهذا التأهل، وسط منافسة قوية من شعراء كبار، وفق تعبيرها.

وقالت في تصريح لها "سعادتي اليوم مضاعفة أكثر لأن زملائي قدموا نصوصا جميلة وأفكارا جميلة، وكذلك سعادتي كبيرة بتفاعل جمهور المسرح خاصة الجمهور النسائي الذي مثل ثلث جمهور مسرح شاطئ الراحة، وهذا أثلج صدري". وأشادت المر بمؤازرة الجمهور لها، مشيرة إلى أنها قدمت نصا يُمثل معاناة شخصية في رسالة حرصت على إيصالها إلى الناس مفادها أن الشعراء لديهم معاناة خاصة، واعدة الجمهور في المرحلة القادمة بتقديم قصيدة بفكرة مختلفة.